

## في أصول تحقيق المخطوط وطبعه

أ. د. طه مُحسن (\*)

خَلَّفَ علماءنا وأدباؤنا تراثاً ثراً من المؤلفات المكتوبة في صنوف العلوم والآداب ضاع منها ما ضاع ، واحتفظت بما بقي خزائن الكتب في أقطار العالم . وقد لقيت هذه المكتوبات أو المخطوطات منذ مطلع عصر النهضة الحديثة عناية من لدن الباحثين عربياً وأجانب ، أفراداً و هيئات ، فجمعوا شتاتها ، وحفظوها في الخزائن والدور ، وراحوا يوثقونها ويصفون كلَّ مخطوط ، فيذكرون عنوانه ، ومؤلفه ، ورقمه ، ومقاسه ، وعدد أوراقه ، وغير ذلك مما يخصه . ثم نشروا هذه المعلومات في فهراس المخطوطات ليطلع عليها من يرغب فيها ويحققها . وكان لظهور الطباعة أثر حميد في إخراج هذه الكنوز من مقارّها ، لتظهر بثوب جديد وبحرف غير الذي كتبت به ، وبأعداد وفيرة للكتاب الواحد لينشر في الآفاق ، ويقتنيه الكثيرون بعد ما كان خبيء خزائنه .

(\*) جامعة بغداد / كلية الآداب.

لقد أسهمت الطباعة في دفع الباحثين إلى الاهتمام بالكتاب المخطوط وتوفير سبل إخراجها، والمقابلة بين نسخه إذا تعددت، والتعليق على متنه ونشره آخذين بقواعد التحقيق التي لا مَعْدَى عنها إذا أردنا أن نخرج نصًّا صحيحًا مطابقًا لما كتبه مؤلفه أو قريبًا من ذلك .

وتولَّى هذا الأمر رواد ذوو خبرة واسعة، وثقافة عالية، فأخرجوا في النصف الأول وما بعده من القرن العشرين نفائس الكتب، وروائع الرسائل سواءً في العلوم الإنسانية أم العلوم الصِّرفة .

وقفَى على آثارهم جيل في الستينات والسبعينات وما يليهما بعدها، فساروا على نهجهم، وحققوا نصوصًا لجهازة العلماء مختارين أجودها عطاءً، وأثراها علمًا، وأجلها نفعًا، ومستفيدين من دعم الجهات الثقافية، والمؤسسات الحكومية، ومن وفرة دور النشر التي تلقفت أعمالهم وطبعتها .

وندخل، مع توالي السنين، في عقود القرن الحادي والعشرين إن زاد الطلب على المخطوط بزيادة المؤسسات الثقافية، وكثرة المثقفين وأساتذة الجامعات وطلبتها، وصار التدافع لاقتنائها وتحقيقه وسيلة إلى الحصول على شهادات جامعية عليا .

لقد كان الباحث قبلاً يتجشم عناء سفر بعيدٍ ويتراسل مع مراكز المخطوطات ودور الكتب بالبريد والوسائل البطيئة ليحصل على مخطوط رصين، في حين غلب على بعض المتأخرين الرِّضا بالمكرر أحيانًا، والتعجُّل في نشره .

ويبدو أنَّ جمهرة مما ينشر في وقتنا رسائل قد زهدت دور المخطوطات فيها . فبعدما محضت زبدتها، واستأثرت بالناضح منها، أنشأت تعلن عنها، وتيسر تصويرها، وتلبي طلب من يريدونها عن طريق التواصل بالوسائل السريعة الحديثة،

حتَّى خيَّل لكثيرين أن لا مخطوط مهمًّا باقياً، وأنَّ الحصول على مثله بات مستحيلًا، وذلك، في ما أرى، غير صحيح، فدور النشر ووسائله لا تَنِي تُخرج ما هو جديد مفيد .

هذه كلمة بين يدي ملاحظاتٍ أوجزتها على (رسالة في البلاغة والفصاحة) لأحمد بن عبد الرضا (من القرن الحادي عشر الهجري)، نشرتها مجلة (المورد) في العدد الأول، المجلد الثامن والأربعين سنة ٢٠٢١. وهي ملخصٌ لمقدمة كتاب (التلخيص في علوم البلاغة) لجلال الدين القزويني الخطيب ٧٣٩هـ، وقد وقفتُ بعد قراءة الرسالة على ما يستدعي التوضيح، ويستوجب التصحيح، وذلك في الأمور الآتية :

**أولاً – العنوان (رسالة في البلاغة والفصاحة) :** لم يتحدث الناشر الفاضل عن العنوان، ولم يذكر علة لهذا الاختيار . وإن خلا المخطوط من النصِّ عليه أردت أن أشاركه في الاختيار، والذي أراه مناسبًا صحيحًا هو (رسالة في الفصاحة والبلاغة) بتقديم (الفصاحة)، أخذًا بقول المؤلف مهذب الدين في مطلعها: (هذه شِردمة وجيزة في الفصاحة والبلاغة) . وحين أنشأ يشرح قَدَم الفصاحة على البلاغة .

#### ثانياً – المقدمة الدراسية :

أقصر حديثي عن مسألة تحقيق (نسبة الرسالة إلى المؤلف) . فقد صرح الباحث بأنَّ هذه المسألة من أهم المسائل في تحقيق النصوص، وقال: (ومن الأمور التي تجعلنا نقطع بنسبة الرسالة إلى مصنفها هي لازمة الشيخ التي التصقت في مقدمات كتبه ورسائله وهي: وبعد فيقول الراجي غفور ربه والرضا . وقد كرر هذه اللازم – كذا – في أغلب رسائله) .

وأثبتت الباحث ثلاث مصورات لمقدماتٍ ثلاثٍ

رسائل للشيخ تأييداً على لازمته : (الراجي غفور ربه ) . ثم عقب قائلاً : ( وعلى هذه الشاكلة عمل في مقدمات رسائله وكتبه ) [ ص ١٨١ عمود ٢ ] .  
أقول : حدث ارتباك في وصف المصورت الثلاث وخطاً في ذكر تسلسلها . والصحيح أن الشكل ( ١ ) هو للرسالة الخطية ، وأن الشكل ( ٢ ) هو للبسملة ، والشكل ( ٣ ) للمؤنث السماعي .  
واللازمة التي رصدها الباحث في رسائل الشيخ ، وهي لفظ ( الراجي غفور ربه والرضا ) لا معنى لها هنا . والصحيح هو ( الراجي عَفْوَرَبِه والرضا ) . وهذا هو الثابت في المصورت .

ودعم الباحث صحة نسبة الرسالة إلى الشيخ بقوله : ( ثم إنَّ هناك لازمة ثانية له استعملها في رسائله ، وهي أنَّ أغلب رسائله أَلْفَهَا لِمَنْ طَلَب منه ذلك ، وهو ما نراه في هذه الرسالة أيضاً ) [ ص ١٨١ عمود ٢ ] .

أقول : وهذا لا يدلُّ على صحة النسبة ، لأنَّ تصريح المؤلفين بتلبية طلبات الطالبين أن يؤلفوا رسائل لهم ظاهرة في المؤلفات القديمة ، يذكرون في مقدماتها اسم الطالب حيناً ، ولا يذكرونه حيناً آخر ، وليست هي لازمة لأحد .

فالأمران إذن لا يدلان على نسبة الرسالة للشيخ . وإن كان من دليل على صحتها فهو تصريح المؤلف باسمه ( المهذب أحمد بن عبد الرضا ) في مقدمتها .

### ثالثاً : المتن المحقق :

ذكرتُ أن أصله خلاصة مقدمة ( التلخيص ) للخطيب القزويني ، فعبارته فيه حاضرة . وحين قرأته وجدت فيه سهواً في قراءة ألفاظٍ ، وتغييراً لبعضها . فمن ذلك :  
ص ١٨٢ عمود ٢ : ( أحمدك يا [ مَنْ ] سُتِرَ له الكلام البليغ ) .

علق الباحث في الحاشية على لفظ ( سُتِرَ له ) بقوله : ( ٤ - هكذا ورد في المخطوط والله أعلم ) .

أقول : الذي ورد في المخطوط هو ( أحمدك يا مُنَزَّلَ الكلام البليغ ) .

ص ١٨٢ عمود ٢ : ( ما هطل مطر من الغمام ) . في المخطوط الحرف ( ط ) بدل ( مطر ) ، ولم ينبه الباحث على التبديل ، والتنبيه هنا لازم ، لأنَّ الموضوع يحتمل أكثر من لفظ ، كـ ( قَطُر ) مثلاً .

ص ١٨٢ عمود ٢ : ( فيقول الراجي غفور ربِّه العفو والرضا ) .

في المخطوط : ( ... فيقول الراجي عَفْوَرَبِّه العَفْوُ والرضا ) .

ص ١٨٢ عمود ٢ : ( الفصاحة أمَّا في المفرد أو الكلام أو المتكلم ) .

الصواب : ( الفصاحة إمَّا في المفرد ... ) بكسر الهمزة .

ص ١٨٢ عمود ٢ : ( أمَّا في الأول فعدم كونه غريباً ومنافراً ) .

في المخطوط : ( ... ومتنافراً ) .

ص ١٨٢ عمود ٢ : ( ١ - والمراد بالغرابة كون كلمة وحشية ) .

في المخطوط : ( ... كون الكلمة وحشية ) .

ص ١٨٤ عمود ١ : ( أو نحو ضرب غلامه زيدا ) . في المخطوط : ونحو ...

ص ١٨٤ عمود ١ : ( حمامة جرعى دومة الجندل اسجعي اسجعي ) .

أحد لفظي ( اسجعي ) زائد .

ص ١٨٤ عمود ١ : ( وليس بشيء لدخولهما تحت التنافر أنَّ ثقل اللفظ بهما ، وإلا فلا ) .

العبارة مرتبكة بسبب الخطأ في رسم ( أن ) ، بفتح الهمزة وتشديد النون ، والصواب كسر الهمزة وسكون النون ( إن ) وبذلك يستقيم النص على

طرفان : أعلى وهو حدّ الإعجاز أو ما يقرب منه، وأسفل وهو ما إذا غيّر الكلام عنه ... ( التلخيص ص ٣٥ .

ص ١٨٤ عمود ٢ : (لمخالفة مقام كل من التنكير، والإطلاق، والذكر، ... وخطاب الذكر مقام خلافة قطعاً) .

في المخطوط : (... وخطاب الذكي ) . وهو كذلك في التلخيص ص ٣٤ .

ص ١٨٤ عمود ٢ : (البلاغة في اللغة، والصرف، والنحو، والحسّ كالتنافر ما يحترز به عن الخطأ) .

في المخطوط : (وما يحترز به عن الخطأ) ، بزيادة واو قبل ( ما ) .

ص ١٨٤ عمود ٢ : (... ما يحترز به عن التعقيد المعنوي هو علم البديع) .

في المخطوط : (وهو علم البديع) ، بزياده واو قبل ( هو ) .

وقد وقع سَقَط في المخطوط غير المعنى، والعبارة منقولة عن ( التلخيص ) للخطيب ص ٣٧ وهذا نصّها : (وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع) . ص ١٨٤ : اللفظ الأخير ( تم ) المكرر لم يثبت في المطبوع .

وفق الآتي : ( وليس بشيء لدخولهما تحت التنافر إن ثَقُلَ اللفظ بهما ، وإلا فلا ) .

ص ١٨٤ عمود ١ : ( كيف وقد نطق الكتاب بـ ( الشمس وضحاها ) ) . الواو بعد باء الجرّ زائدة ليست في المخطوط . والصواب : بـ ( الشمس وضحاها ) .

ص ١٨٤ عمود ١ : ( والبلاغة في الآخرين غير ) . في المخطوط ( ... لا غير ) .

والمراد بـ ( الآخرين ) الكلام والمتكلم . قال الخطيب القزويني : ( الفصاحة يوصفُ بها المفرد والكلام والمتكلم . والبلاغة يوصفُ بها الأخيران فقط ) التلخيص ص ٢٤ .

ص ١٨٤ عمود ١ : ( والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلّم على خصوصيّة ما كان الإنكار وباقتضاء الاعتبار المناسب له وللمقام ) .

النصّ مرتبك ، ويستقيم بما يأتي : ( والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلّم على خصوصيّة ما ، كالإنكار ، وبمقتضاه : الاعتبارُ المناسبُ له وللمقام ) .

وقد جاء الوهم من أنّ لفظ ( كالإنكار ) تحرّف في المخطوط فكتب ( كان الإنكار ) .

ص ١٨٤ عمود ٢ : ( وطرقتها إلا على حدّ الإعجاز وما قاربته ، والأسفل ما عدّ بتغييره ... ) .

في المخطوط : ( وطرقتها الأعلى حدّ الإعجاز ... ) . قال الخطيب القزويني عن البلاغة : ( ولها